الفصل الثانى والعشرون

مهاجمة تا كوشان

(القسم الاول — اليأس الشديد)

يوجد على شاطىء البحر شرق القلعة العظمى (بورت ارثور) جبل متقطع جوانبه رأسية تقريباوصخوره بعضها الشاهق الغليظ والآخر الصغير منتشرة عليه تتخللها الاشجار القصيرة وهذا التل يرى من بعد كأنه ثمر عجوز قاعد القرفصاء وهذا الجبل يسمى (تا كوشان) أو اليتيم الكبير أما (هسيا كوشان) أو اليتيم الصغير فموجود على مقربة بالجنوب أمام القلعة (لاولوتسوى) و (تا كوشان) هذا هو قمة ارتفاعها ١٨١ مترا ومن جانبه الجنوبى الغربى ترى فى الاسفل قلعة (بورت ارثور) ومن جنبه الشمالى الغربى تشاهد خطا المهاجم المكون من كل من قولينا اليسار والوسط . وكانت اعمال محاصرتنا وحركات كل فرقة وموقع طوبجيتنا ظاهرة جليا من هناك وكان الجنب المواجه لجيشنا منحدرا بالخصوص كثيرا حتى لا يمكن التسلق عليه بالكلية وكان صعب المرتقى مثل (كنزان) و (تايوشان) ولما كان هذان التلان يسمحان للعدو أن يرى داخل موقعنا كانا أيضا معرضين لنيراننا وقد عمل قائد فرقتنا العام الملاحظة الآتية عليهما « ان مثل اليتيمين (التلين) الكبير والصغير كمثل اللحمة الموجودة بين ضلوع الدجاجة الصعب الحصول عليها ولكن يصعب علينا رميها إذ كلما كانت هذه التلول فى أيدى

العدو نتحقق أنهم يرموننا من أعلاها ويطلقون النيران منها علينا فلا يسعنا الا أن نكون هدفا لهم وانه من الصعب جدا الاستيلاء على موقع محمى طبيعيا مثل هذا والاصعب من ذلك حفظه حتى ولو نجحنا في أخذه بعد معارك عنيفة لانه تطلق عليه النيران من جميع القلاع المجاورة » فرغما عن اتحاد آراء أركان حربنا نهائيا على اخذه لضرورة لزومه جغرافيا وحربيا انتظرنا الفرصة المناسبة بدون طلق رصاصة واحدة مع كون العدو كان يطلق علينا بدون انقطاع وكنا نسرع فى تجهيزاتنا لعمل المحاصرة القريبة وتحدد أخيرا اليوم السابع من أغسطس لسيرنا وهجومنا فأخذت قبلنا طوبجية ميداننا وحصارنا مواقعها ومعها (الهويتسر والهوان) (مدافع للضرب بانحناء لاصابة عدو خلف ساتر) وفى الساعة الرابعة مساء ابتدأت المدافع فى أطلاق قنابلها فى وقت واحد على التلين اليتيمين فردت علينا بالمثل استحكامات اليتيمين و(يالونج) و(شيكوان) و(لاولوتسوى) فى الحال وكان الفضاء لغاية آخر مرمى النظر مغطى بالدخان وكانت طوبجية العدو أعظم منا قوة وخصوصا لمشاهدتهم لنا من الاعلى وكانت طوبجيتنا تشتغل تحت صعوبة كبرى جداً بدون فائدة متحملة خسائر جسيمة ولكن يظهر أن طوبجية العدو كانت غير عالة ان مدافع (شرابنيلاتنا وهوانانا) كانت موضوعة فى الوادى فكانت تصوب نيرانها على طوبجية بيادتنا وعليه لم يصب مدافعنا الكبرى أدنى تلف وقد ظهر تأثيرها على العدو عند ما سكتت بعد تقريبا مدافع الروسيين الموجودة على (تاكوشان) . وفى الساعة ٤ مساء ترك آلاينا موقعه وابتدأ فى المسير بقصد عبور نهر (تاكو) ومهاجمة العدو عندما تفتح

مدافعنا فرصة مناسبة لهذا الهجوم . وقبل ان ابتدئ بتفصيل هذه المعركة الوحشية اسمحوا لى أن أشرح لكم الذى فكرت فيه وعملته قبلها كما فعل ذلك غيرى من المحاربين قبل أى موقعة وهى ان مدة الثلاثة أشهر التى ابتدأت من اول ماخطوت على الارض (لياوتنج) أنا الضعيف الغير مهم كنت مسئولا عن حمل اعلام الآلاى وهى مسئولية كبرى أعنى نائبا عن شخص جلالة الميكادو وقد نجوت من ثلاثة مواقع وهى (كنزان) و (تايپوشان) و (كانتشان) ولحسن أوسوء حظى لم أمت ولم أجرح فيها وقد تواترت الانباء فى وطنى مرارا بموتى وجرحى فكنت أخجل من هذه الانباء لانه لم يصبنى شىء مما سمع عنى فعزمت على ان أحارب ببأس وأضحى حياتى فى معركة (تا كوشان) هذه لاصدق الاشاعة فاخبرت مراسلتى قبل ابتداء الهجوم ببضع أيام « انى عازم أن أموت هذه المرة فاشكرك سلفا على خدماتك لى » فقال مراسلتى والدموع ملء عينيه « ان كنت تموت أموت معك » ونبهت عليه بتجهيز صندوق لوضع رمادى فيه فصنعه فلم يبق الا أن أعمل لآخر رمق من حياتى لارد الى أمبراطورى ووطنى الاحسان بحياتى

وقد حررت فى ذلك المساء خطابا لاخى الاكبر فى طوكيو وأخبرته عن الحوادث الاخيرة بالمحاربة وان هجومنا سيبتدئ غداً وانى مستعد وعازم على الموت ورغما عن أن جسمى سيفقد فى (پورت ارثور) الا أن روحى لا تنسى الاخلاص لى الميكادو (امبراطور اليابان) وبالطبع كنت اعنى بذلك وداعى الاخير الابدى وفى اليوم نفسه استلمت خطابا من أخى المذكور وجدت به النصيحة الآتية « لا تفكر فى شرف أو استحقاق بل

كن فقط مخلصا لواجبك فعند ما مات نلسون (القائد البحرى لانكليزى الشهير) موتا جليلا فى معركة الطرف الاغر البحرية قال « احمد الله فانى أديت واجبي »

فى المساء قبل الموقعة قرأت كلمات التشجيع هذه التى جعلت قلبي أقوى وعزيمتى أثبت عن قبل وفى الساعة ٥ مساء من يوم ٢٧ أغسطس كانت تهطل الامطار بكثرة وهى مختلطة برعود المدافع وكانت سماء بعد الظهر سوداء ومحزنة ومخيفة وكنا أثناء ذلك واقفين فوق هضبة على نهر (تاكو) منتظرين بتشوق الى أمر التقدم وكانت تزداد الامطار هطولا والسماء سوادا وأنوار بحث العدو تقع على جوانب التلول والوديان من وقت الى آخر ولونها الابيض بزرقة كان يعيق تقدم بيادتنا وكانت تشتد نيران العدو كلما تقدم الوقت وكان صوتها عجيبا وهى مختلطة بهطول الامطار وكنت اتحدث مع الملازم (هياشى) الذى قال لى فجأة « ربما ننفصل من بعضنا فى أى وقت » فاجبته « انى عازم أيضا على الموت فى هذه الليلة » فاجاب هياشى « ما أطول الزمن الذى أمضيناه معا »

وما كان عندنا حظ للستمر فى هذه المحادثة اذ أننا افترقنا وودعته وودعنى الوداع الاخير ولقد كنا رفاقا من مدة . أما الملازم (هياشى) هذا فهو أول من اجتاز مدخل استحكام العدو فى (تايوشان) رافعا سيفه

ولما أثرت نيران طوبجيتنا على العدو عند الغروب ابتدأت فرقتنا بالزحف كالتصميم المعمول من قبل وكانت تزداد الامطار شدة والطرق الضيقة

صارت جداول موصولة وكنا نمشي بصعوبة زائدة ونحن مغروسون لغاية ركبنا في الطين والماء أما طوبجية العدو الموجودة فوق (تا كوشان) فلم تسكت ولم تضعف كما كنا نفكر لانه عند ما اكتشفوا أننا ماشون في المطر والدخان ابتدأت نيرانهم ثانيا بشدة جديدة وعند ما وصلنا الى نهر (أوكو) كان ماؤه قد فاض على شواطئه ولما لم نكن نعرف عمقه وقتئذ استفاد العدو من المطر الثقيل بان سد التيار من تحت حتى يوقف سيرنا بالفيضان ولو دخلنا الماء يمكن نغرق بدلا من أن نقتل بمقذوفات العدو ولكن قسما من مهندسينا رموا بأنفسهم حالا في الفيضان وكسروا السد وبعد قليل اندفق الماء وعليه أمكن للبيادة عبور النهر فقفزت جميع قواتنا الى الماء وبدلا من الغرق المنتظر قتل العدو منهم عدداً عظيما وهم يسبحون وكانت جثثهم تتراكم على بعضها حتى صارت كقنطرة على عرض النهر

وأخيرا وصلنا الى أسفل تل (تاكوشان) فابتدأنا بازالة عراقيل السلوك واتقاء خطر المرور على الالغام وكلما زال خطر كان آخر في انتظارنا فتسلقنا الصخور وتسورنا جرفا شاهقة وكان السواد الحالك والريح العاصف يضاعفان مصاعبنا وثقلت ملابسنا من ماء النهر والمطر حتى كدنا نعجز عن المشي وكلما قربنا من خنادق العدو رمونا بقنابل مفرقعة على رؤوسنا وأحجار أو قطع خشب حتى صار تقدمنا الى الامام في غاية الصعوبة وقد قرب قسم من جيشنا من خنادق العدو الامامية التي كانت على هيئة حدوة حصان على منتصف سفح الجبل وكانت فرقتنا مشتغلة بعمل طريق في الصخور للمسير عليه مستعدة للهجوم ليلا الا أن العدو اشتغل كثيرا بواسطة نور البحث وقنابله

النجمية (نور البحث هو أشعة ترمى على العدو ليلا لمعرفة أعماله — والقنابل النجمية هى التى عند فرقعتها تخرج منها مواد تشتعل فى الهواء كالنجوم للغرض السابق) لمنع تقدمنا حتى عدلنا عن هذه المفاجأة الليلية واستحالتها فعولنا على الهجوم فى الفجر معرضين نحن والعدو للامطار

وعند انبلاج الصباح كانت الامطار لم تزل هاطلة وكانت جثث قتلانا مبددة على نهر (تا كو) وغير ممكن حملها لاننا تحت أعين العدو مباشرة وقد صرنا فى حيرة شديدة فكان فكرنا مقسوما بين ضرب العدو والاعتناء بهؤلاء الجرحى والقتلى وفوق ذلك كانت احدى عشرة قطعة حربية من دونمة العدو ضمنها مدرعة (نوفيك) ظهرت بالقرب من (بينشانج) وابتدأت تطلق قنابلها على بيادتنا المتقدمة (تا كوشان) و(هسيا كوشان) من الخلف وكان لا يوجد أى ساتر لحمايتنا فكنا هدفا لنيران العدو من كل جهة الذى كان يقتل ويجرح فينا كيف شاء وهكذا صرنا فى يأس شديد ومع كل ذلك سترى قريبا كيف استولينا على تا كوشان

الفصل الثالث والعشرون

مهاجمة تا كوشان

كان دخان البارود المظلم والمطر كامواج بحر وهو فى مده وفوقنا الجبل الحاد جدا صاعدا ليناطح السماء لا يمكن حتى للقردة أن تتسلقه الا بصعوبة فكل هضبة نتسلقها نجد أخرى أصعب منها والنسر الروسى الخافق يهددنا فى